

الأحد 24-10-2010

1150 - "دستور يا الدستور" - تور

مقدمة :

آسف لما سيرد في هذه النشرة من تكرار محدود نشر في تعتعة السبت الماضي 16-10-2010 حيث أن نشرة السبت هذه كانت خاصة بالموقع فقط ولم تنشر في أية صحيفة، وحين قررت عرض وجهه نظري للناس عامة، وليس فقط لأصدقاء الموقع حدث هذا التكرار الاضطراري لبعض الأجزاء علما بأن التناول هنا أعم وأشمل.

تعتعة الوفد**"دستور يا الدستور"**

إن ما حدث هذه الأيام ويجرى النقاش حوله عن: "ماذا جرى للدستور وفي الدستور"، هو مسألة أكبر بكثير من تفاصيل مناقشة ظروف أو مغزى إقالة رئيس تحرير، أو موت صحيفة، أو تورط سياسي كبير وديمقراطي محترم في خطأ انفعال سرعان ما صححه وهو يعترف به بشجاعة نبيلة، إن ما حدث هو بمثابة إعلان، أو لعله تذكرة بضرورة التوقف طويلا أمام ما يجري ليس في مصر فحسب، وإنما عبر العالم، للتعرف عن الآليات الفاعلة في إدارة وتوجيه مسار الناس ومستقبلهم.

هذا الحدث استدعى أسئلة تلح على (ربما علينا) برغم أنها قديمة، وأن إجاباتها بديهية، تقول:

لماذا تصدر هذه الصحف (وتنشأ تلك القنوات الفضائية)؟ ما الهدف؟ وما العائد على أصحابها وعلى الناس؟ ثم ما هو التأثير الحقيقي: الآن ومستقبلا، للكلمة المكتوبة، (والمسموعة والمرئية)، أولا: على تشكيل رأى الناس، ثم على تشكيل وعى الناس، أعنى: على إدارة أمور الناس في واقعها القريب، ثم على مستقبل جموع الناس في طورها الممتد؟ وما هو دور الشركات المالية والرأسمالية (وتم فرق قد أعود لتوضيحه يوما) في تسويق ودعم هذا النشاط المسمى الإعلامي

ولكن لنقصر ملاحظتنا المحدودة على بعض جوانب الموضوع الخالي:

توقف الدستور، آسف، هناك شيء ما زال يصدر في أوراق متلثة "بكلام كثير"، و"إعلانات"، "كلام كثير"، بعضه بالقصور الذاتي، وبعضه أكل عيش، وبعضه حسن نية، وخلص، وهو عمل قد يميزه القانون، لكنه يظل غير مشروع بالقياس الأخلاقي العام، أن يحمل أحد أو مؤسسة اسما له تاريخ، وهو يختلف عن تاريخه .

أنا أكتب في الدستور - بدعوة كريمة- منذ إصداره الأول سنة 1995 حتى عام 1998 ثم عدت أكتب فيه في الإصدار الثاني منذ سنة 2005، وأزعم أنني تعرفت عليه من خلال ذلك، وغير ذلك، بما يكفي أن أقول إن الذي يصدر هذه الأيام، ليس هو الدستور الذي أعرفه ويعرفه الناس. أنا لا أريد أن أعطي لصحيفة دورا أكبر من حجمها، فكل ما يكتب عندنا، وربما حولنا، مهما بلغت درجة التحريض فيه، والنقد، بل والاقتراحات البناءة أحيانا، يصب في محيط من اللامبالاة الرسمية، أو الحزبونية. الدنيا لم تنهد حين توقف الدستور، ولن تنهد حين تتوقف القنوات الفضائية الدينية وشبه الطبية التي حظروها هذه الأيام، بل وكل القنوات!! إذ يبدو أننا وصلنا إلى حال يجعل كل الكلام المكتوب والمسموع والمشاهد - تقريبا- من المعارضة والمؤيدة معا، بلا قيمة حقيقية ما دامت لا توجد آلية سياسية على أرض الواقع تسمح للكلمة أن تكون لها فاعلية تؤثر في محتوى صناديق انتخاب مجدية ومسئولية، وهي تهدد فعلا بتداول السلطة، إن لم يتوفر مثل هذا الاحتمال حقيقة وفعلا على أرض الواقع، فكل الكلمات على الورق، وعلى الهواء، لن تبرح مكانها من الورق، أو في الهواء، مع أنهم يستعملونها من الظاهر أملا في القيام بدور الديكور لمن يطالبون برفع راية الديمقراطية سابقة التجهيز لإرضاء الأوصياء الأمريكيين وغيرهم، ديمقراطية "كذا وكذا" أيضا!! حسب المواصفات اللائقة بأمثالنا، أقول: إن الدنيا لن تنهد، والمسائل لن تفرق، في المدى القريب على الأقل، إذا توقف الدستور أو الأهرام، أو صوت الأمة، أو أخبار اليوم، وبرغم معرفتي ذلك يقينا، فقد ظلت أكتب طوال هذه السنوات، على أمل أن تتجمع نبضات الوعي العام، لتكون جاهزة يوما ما لتغيير نحن نستأمله والله العظيم ثلثا، كان واضحا عندي من البداية أن تم فرق بين كتابة التحريض، وكتابة تحريك الوعي، لذلك أسميت العمود الذي رضيت أن أكتبه أسبوعيا في الدستور، ومن البداية "تعتة"، وقد شرحت ما أعنيه بالكلمة، ونشرت ذلك مع بداية التعتات قائلا :

التعتة هي: الكتابة بقصد التحريك لا البلاغ، وقد استعرت لفظ "التعتة" هذا من الحسن بن هانئ، (أبو نواس) وهو يقول (مازحا أو جادا):

وما الغرمُ إلا أن ترائيَ صاحبا وما الغنمُ إلا أن تتعتيَ الخمر

وقياساً أقول:

وما الغرمُ إلا أن ترائى ساكناً
ويتعنى الرأي

ثم أضفت شارحاً (ما زلنا سنة 1995):

"... (إن) آفة ناسنا الألعن هي الجمود المغلف بالكسل، التي يقابلها على الجانب الآخر الاندفاع المتسارع بالاستسهال، و"التعنتة" هي تحريك محسوب بين هذا وذاك. وفرق بين كتابة وكتابة، فكتابة الخمر المعلومة هي نوع من الإخبار والبلاغ، أما كتابة الرأي ووجهة النظر، فهي دعوة للحوار والمراجعة، والتعنتة هي من النوع الثانی: ولزيد من الإيضاح: هي دعوة للقراءة الثانية قبل التسليم بظاهر القول، وهي حفز للنظر في الجانب الآخر من المعنى الظاهر، لعله أهم، وأدل، وهي رفض للمسارعة بـ "التعظيم سلام" لكل حروف مطبوعة، وهي تحذير من هز الرأس بالموافقة حتى قبل أن تكتمل الجملة أو يتضح المراد، وهي إغراء بإعادة النظر في الشائع المتفق عليه، حتى لو كان بديها، أو مقدساً.

وقد بدأت كتابتي هذا العمود بنقد لاذع للدستور نفسه، وقد نشر بحروفه بتاريخ 1997/3/5 بعنوان "دستور يا الدستور" قلت فيه :

"... في بلدنا كانت كلمة دستور "بفتح الدال" تعني: "ولا مؤاخذة"، أو: "بالإذن"، وكان الرد عليها "دستورك معك"، ولم أحاول أن أسأل أبي ماذا يعني هذا كله، وما علاقة ذلك بدستور 1923 أو حتى دستور 1930، ناهيك عن الدساتير اللاحقة حسب المقاس، ثم إني أثبت في هذه التعنتة بعد ذلك نقداً لاذعاً لبعض ما نشر مما يتعلق مما لا يخص حالنا الآن، كذلك قلت: "... حين صدرت صحيفة "الدستور" ... رحت كالعادة أقف حذراً أمام العدد تلو الآخر حتى أتعرف عليها وأطمئن إلى مصادر تمويلها" الخ.

من خلال خبرتي المحدودة بحكاية التمويل عموماً، ومن خلال معاشتي تمويل شركات الأدوية للمؤتمرات، والمجلات العلمية، لتوظيفها لغسيل مخ الأطباء أولاً بأول، بعلم زائف أو ملتبس، لصالح المال، خشيت على الدستور من الإعلانات، وفي نفس الوقت خشيت عليه من التوقف إن لم يعرف كيف تموله الإعلانات، وقد عرضت مخاوفي آنذاك على إبراهيم، فأجابني مطمئناً: أن القارئ هو الممول الأول، ولعه الأخير، وفرحت، ولكن لم يزل خوفي، حتى ثبت مما حدث مؤخراً، أن المعادلة أصعب من أن تحملها قروش القارئ أو حماس العاملين أو حسن نواياهم.

في الإصدار الثاني منذ 2005 عدت إلى عادتي القديمة، وكتبت رأياً في بعض ما يكتبه رئيس التحرير سباً في الشعب المصري شخصياً، وأنا أعتبر نفسي - دون انتخابات ولا مجزئون- نائباً معيناً من قبل ربنا للدفاع عن هذا الشعب الجميل، مهما

رددوا " ماذا حدث للمصريين " "ماذا حدث للمصريين"، ناسين أنهم منهم وبهم، المهم كتبت في الإصدار التالى وأنا اراجع سئى لناسنا فى شعر كتبتة شابا فى الرابعة عشر من عمري سنة 1949 ، كتبت فى الدستور بتاريخ 25-1-2006 ".... من هم هؤلاء (ناسى) الذين كنت أصفهم بأنهم لم يصلوا إلى مرتبة القروء فى التقليد، وأنهم : بقايا بشر"، (مسوخ قروء، بقايا بشر) يا ترى كنت أعنى ناسنا جميعا (الشعب)، كما يفعل أبو يحيى رئيس التحرير الآن حين ينزل على الشعب المصرى سلخا بلا رحمة، حتى أتصور أنه يعينى شخصيا.. إلخ" - ونشر كل ذلك رئيس التحرير دون تردد.

هذا هو الدستور الذى كنت أكتب فيه، والله الأمر من قبل ومن بعد، ولنا، فالحكاية لم تنته.

دعوى أختم كلمتى وأنا أخجل من كثرة تكرار اقتطافى هذا النص من شعرى بالعامية قائلا :

"كل القلم ما اتقصف يطلع له سن جديد،

ويش تعمل الكلمة يابا والقدر مواعيد،

خطف القلم مالعدم أوراق وملاها،

وان عاجبنى وجب، ولا أتنى بعيد"